ترجمة

السيد الإمام أحمد بن عرفان الشهيد

مجدد القرن الثالث عشر

بقلم

أبو الحسن على الحسني الندوى

الطبعة الثانية

١٤٢٠هـ

مجمع الامام احمد بن عرفان الشهيد
لاحياء المعارف الإسلامية
دار عرفات. دائرة الشيخ علم الله. رائي بريلي (الهند)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيّد المرسلين وخاتم النبيين محمد و آله وأصحابه أجمعين ، أما بعد

فهذه السطور التى أتشرف بتقديمها إلى القراء الكرام - سطرها يراع سماحة الإمام أبو الحسن على الحسنى الندوي وهو شاب ناهض بدأ يشدو ويكتب اللغة العربية وما شب عن الطوق .

نشر هذا المقال في مجلة " **المنار** " الغراء التى كان يديرها ويصدرها العلامة السيد رشيد رضا من مصر ، في عدد ذى الحجة ١٣٤٩هـ ، مايو ١٩٣١م ، ثم طبع في رسالة مفردة من مكتبة "**المنار**" في العام التالي (١٣٥٠هـ) فهذه الرسالة تحمل في طياتها أكثر من معنى تربوى ، وهو ان مخائل النبوغ واستعداد طالب نجيب موهوب وقدرته على التعلم واكتساب المهارة وقوة الأخذ والاستفادة تظهر سريعاً ولو كانت الظروف قاسية والبيئة غير مواتية على أن يكون المعلم والمربي ملهماً في اختيار أنسب الوسائل التعليمية والطرق الجديدة حسب المقتضيات ونفسية تلاميذه وفوق ذلك كله أن يكون التوفيق حليفه

والاخلاص روحه .

حظى الشيخ أبو الحسن الندوي في مراحله الدراسية والتربوية كلها بأساتذة ومربين قاموا بتعليمه وتربيته خير قيام وفي طليعتهم الشيخ خليل بن محسن اليماني الذي كان يملك صلاحية غريبة مدهشة في صبغ الطلاب بأفكاره وآرائه ، بحيث تتغلغل في أحشائهم وتمتزج بلحومهم ودمائهم ، ونفخ الروح في الكتاب الذي يدرسه وانشأ الذوق الصحيح والملكة الصالحة في الفن الذي يتناوله وتقريب الطلاب إلى مؤلف الكتاب ذوقا ومسلكا ومشرباً ، لقد كان الشيخ خليل نادرة في هذا الأمر ، كما كان يملك ملكة عجيبة في التذوق الصحيح للعربية وآدابها ولغتها ونقل هذا الذوق إلى الطلاب ، زد على ذلك عناية الأخ الأكبر الأستاذ الدكتور عبد العلي الحسنى بتعليم وتربية أخيه الصغير، فلم يكن الدكتور أخاً ناصحاً حنوناً فحسب بل كان رزق ملكة خاصة موهوبة للتربية والتعليم يجتهد فيها ويختار طرقاً وأساليب جديدة ويشرف على تكوين سيرة أخيه الدينية والخلقية إشرافا دقيقاً ، كان بوده أن يتعرف أخوه الصغير على حقيقة دعوة الإمام أحمد بن عرفان الشهيد ويزداد شغفاً به

وبسيرته ودعوته، إذ كان أجداده متصلين به اتصالاً روحياً وعائلياً وفكرياً ، وكان لفرع أجداده علاقة خاصة به ، وقد صدر في تلك الأيام (١٩٣٠م) للأستاذ محي الدين قصوري مقال في مجلة " **التوحيد** " الاردية الصادرة من مدينة امرتسر الهندية وكان عنوان المقال " **مجاهد الهند الأعظم** " وقد عرضت فيه دعوة الإمام الشهيد بأسلوب عصرى وطريقة جديدة لأول مرة ، فأشار الدكتور على أخيه بنقل المقال إلى العربية وأوصاه بان يقرأ قبل عملية الترجمة بعض كتب السيرة والتراجم الموثوق بها، والتى ألفت في أسلوب خفيف سليس ويقيد التعبيرات الخاصة وأساليب الأداء التى يحتاج إليها في كتابة التاريخ والتراجم ، فراجع هذا الشاب الطموح لهذا الغرض الكامل لابن الاثير ، وقيد ما وجد من ألفاظ وتعبيرات اعجبته أو شعر بأنه ربما يحتاج إليها في التعبير والتحرير، و تيسرت له الترجمة بعد ذلك .

فلما تم اعداد المقال إذ جاء الشيخ الدكتور تقى الدين

الهلالي ١ إلى دار العلوم ندوة العلماء لتدريس اللغة العربية فيها، فعرض الشاب الناهض هذه الترجمة على الأستاذ الهلالى فتناول بعض المواضع بالتصحيح ، وقال له : إذا احببت ابعث بهذه الترجمة إلى العلامة رشيد رضا ينشرها في مجلة " **المنار** " ولكن خذ بالك انه دقيق النقد ، وان مستوى الصحة عنده عال جداً فانه يستخرج الأخطأ من مقالات الكتاب الكبار، فأبدى التلميذ اليافع رضاه وبعث الأستاذ بهذه الترجمة مع رسالة للتعريف بالمترجم ، ولم يقتصر العلامة السيد رشيد رضا على نشرها فحسب بل كتب إلى الأستاذ الهلالي ان صاحب المقال لو أحب أن ننشره في رسالة مستقلة لفعلنا ، لم يمض كثير وقت حتى جاءت تلك الرسالة من مصر بعنوان " **ترجمة السيد الإمام أحمد بن عرفان الشهيد مجدد القرن الثالث عشر** " وأى فخر ومكرمة

---

[١] هو من أساتذة اللغة العربية وفضلائها المعدودين الذين يحتج برايهم وحكمهم على صحة الكلمات واصالتها ، ويكفى لابراز مكانته الممتازة انه إذا حدث خلاف بين العلامة السيد رشيد رضا وأمير البيان الأمير شكيب ارسلان في قضية من قضايا اللغة العربية وتعبيراتها كان الحكم بينهما هو الأستاذ تقى الدين الهلالي .

لشاب هندى ناهض أكبر من أن تنتشر رسالته على يد عالم جليل مثل العلامة السيد رشيد رضا ، والشاب لم ينيف على السادسة عشرة من عمره .

بقيت هذه الرسالة مغمورة ومطمورة في خزانة الكتب طوال هذه المدة ، ولم تستلفت أنظار الكاتب إلى إعادة طبعها في ثوب قشيب ، ولكن الله لا يضيع أجر المحسنين ، فكان هذا المقال مباركا ونواة خرجت منها دوحة عظيمة ، وباعثاً على تأليف كتاب مستقل حول سيرة ودعوة الإمام أحمد بن عرفان الشهيد ، حاز الكتاب إعجاب الأوساط الدعوية والتربوية وملأ فراغاً كبيراً في شبه القارة الهندية ، وكان الإقبال عليه عظيماً لتعطش المسلمين في الهند إلى تاريخ وحكايات تبعث فيهم الثقة والاعتزاز وتثير فيهم الإيمان والحنان لأجل الأجواء التى كانت تسود الهند في ذلك الزمان ولتوقهم إلى حكم ذاتى وإنشاء قوة إسلامية سياسية ١.

---

١ قد ظهر هذا الكتاب أولا في مجلد واحد، بلغ عدد صفحاته ٤٦٢ سنة ١٩٣٩م ثم تناوله المؤلف بالزيادة والتحسين ، حتى صار الكتاب أضعاف الطبعة الأولى، ظهرت

ثم لما قام الشيخ الندوي بزيارة البلاد العربية في أوائل الخمسينات لمس خلال هذه الجولة ان الأوساط العلمية والدعوية لا تعرف عن الجهود الدعوية والأعمال الجهادية التى قام بها الإمام أحمد بن عرفان الشهيد في شبه القارة الهندية، بل ان هناك غباراً كثيفاً يتراكم على شخصيته وأعماله بسبب معلومات مستعارة أو مستقاة من مصادر إنجليزية ١ فرأى الشيخ الندوي أن يضع كتاباً متوسطاً حول هذا الموضوع في العربية في أسلوب قصصي شائق يجمع فيه حكايات من تاريخ هذه الحركة الكبيرة وصاحبها العظيم، تلقى الضوء على مراميه البعيدة وتأثيره العميق واخلاق من صحبه و تأثر به مع

الطبعة السادسة في باكستان والسابعة في الهند في مجلدين ضخمين، مجموع صفحاتهما ١١٤٥ صفحة، ومن اراد الاستزادة فعليه مراجعة كتاب "سيرة سيد أحمد شهيد" طبع المجمع الإسلامي العلمي، لكناؤ.

[١] اقرأ نماذج هذه المغالطات والأخطاء الشائعة في كتاب زعماء الإصلاح في العصر الحديث للأستاذ الدكتور أحمدأمين، و كتاب " الشيخ محمد بن عبدالوهاب " تأليف العلامة أحمد بن حجر قاضي المحكمة الشرعية بقطر، وتقديم الكتاب بقلم العلامة الشيخ عبدالعزيز عبد الله بن باز

استعراض مجمل لتاريخ هذه الدعوة ومراحل حياة صاحبها ، فبدأ يكتب سلسلة من المقالات في مجلة "**المسلمون**" الغراء الصادرة من القاهرة ودمشق ، ثم ضمت هذه المقتطفات إلى كتاب " **إذا هبت ريح الإيمان** " ليستطيع القراء العرب أن يكونوا من هذه الشذرات الملتقطة من هنا وهناك فكرة متناسقة جامعة عن هذا الجهاد الطويل وعن هذه المدرسة المنجبة المنتجة ، فكان هذا الكتاب سدا إلى حد كبير لهذا الفراغ الواقع في المكتبة الإسلامية المعاصرة ، وريا لكثير من النفوس المتعطشة إلى معرفة هذا الفصل الرائع عن الجهاد الإسلامي وتاريخ التجديد الديني في الهند [١]

ننشر هذه الرسالة تعميماً للفائدة ووفاء للإمام الذي لم يوف حقه من الانصاف والاعتراف، مع انه ليس في حاجة أن يعترف الجيل المعاصر والمثقفون والكتاب بمكانته في صف

---

[١] انظر للمزيد من التفاصيل كتاب " إذا هبت ريح الإيمان" الذي ظهرت طبعاته المتعددة من بيروت والكويت وعمان ولكناؤ ، وانظر كذلك " الإمام الذي لم يوف حقه من الانصاف والاعتراف" بقلم سماحة الإمام الندوى .

المصلحين والمجاهدين ويعرفوا قيمة دعوتة وجهاده وأهمية الدور الذي قام به في النشأة الدينية الحديثة والتجديد الإسلامي الأخير، وما كان لدعوته وجهاده من أثر عميق على عصره وبيئته وعلى جميع الحركات والنشاطات التى قامت في شبه القارة الهندية وما جاورها من بلاد وأقطار، ولكن من حاجة هذا الجيل والأجيال التى تأتى بعده ، وحاجة تاريخ الإسلام والمسلمين الذي يجب أن يكتب بإنصاف وتحقيق وان ينزل الناس فيه منازلهم ويوفوا حقهم .

هذه الرسالة محاولة مخلصة ولفتة تاريخية للدارسين لهذا الموضوع والمؤلفين والمؤرخين والعاملين لمجد الإسلام ونهضته.

﴿ربنا اغفرلنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤف رحيم﴾

نذر الحفيظ الندوي

دار العلوم ندوة العلماء ، لكناؤ

٨/ذوالحجة ١٤١٩هـ

٢٧/ ٣/ ١٩٩٩م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيّدنا ومولانا محمد وعلى آله وأصحابه الطاهرين الطيبين ، ومن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعدا! فلم تزل سنة الله في عباده ولا تزال- ولن تجد لسنة الله تبديلا- أن يبعث فيهم- وقد أخذ الشيطان قيادهم ، وذهب بهم النسيان مذهبه حتى﴿ نسوا الله فأنساهم أنفسهم﴾١ مذكراً مبشراً منذراً .

فترى أن الإنسان يذكر شيئاً فكأنه لاينساه أبداً ، ثم يضرب عنه صفحاً فكأنه لم يكن قط على ذُكر منه ﴿ وكان الإنسان أكثر شئ جدلاً﴾ ٢.

ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما﴾٣

---

١ - الحشر :١٩

٢ - الكهف :٥٤

٣ - طه : ١١٥

﴿ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر وكانوا قوماً بوراً ﴾١ .

﴿فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شئ حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون﴾٢

﴿فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون ﴾٣

﴿ فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية ، يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به ﴾ ٤

﴿ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم ﴾٥

فلا بد من التذكير ولا غنى عنه ﴿ واتل عليهم نبأ نوح إذ قال لقومه يا قوم إن كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بآيات الله ، فعلى الله توكلت . فأجمعوا أمركم وشركاءكم﴾٦

---

١ - الفرقان :١٨

٢ - الانعام : ٤٤

٣ الأعراف : ١٦٥

٤ -المائدة :١٣

٥ - الحشر : ١٩

٦ - يونس : ٧١

﴿وذكرهم بأيام الله ﴾١ .

﴿ فذكر إنما أنت مذكر﴾ ٢

وكان محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين ﴿ ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين﴾ ٣ به أكمل الله للبشر دينهم ، وأتمّ عليهم نعمته .

مجددو الأمة ومصلحوها بعده

قال صلى الله عليه وسلم " لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم" رواه الشيخان وغيرهما وفي السنن " ان الله يبعث على رأس كل مائة عام من يجدد لهذه الأمة امر دينها " رواه أبوداود وغيره.

فلم يزل في هذه الأمة من جدد لها أمر دينها ، أيقظها

---

١ - إبراهيم : ٥

٢ - الغاشية : ٢١

٣ - الأحزاب : ٤٠

وقد طال بها الكرى ، وبث فيها روح الحياة والعمل .

وأرجوا ان يكون السيد الإمام أحمد بن عرفان: مجدد القرن الماضي ، وأنا على ثقة وبصيرة ان شاء الله ، فمنه كان عصر النهضة الإسلامية ، وإليه يرجع فضل النشأة الحاضرة .

حالة الهند العامة في عهد نشأته

انتهت الحرب السياسية التى دارت بين المسلمين واليسوعيين في القرن الثامن ، وذهبت على أثرها السياسة الإسلامية ، إذ ذهبت الحمية الإسلامية، وسكرة العزة المدنية ، وفقد العالم الإسلامي نشاطه و روحه ، ولم يبق يومئذ من الإسلام إلا اسمه ، ومن الدين إلا رسمه .

طرأت على الهند حوادث سياسية فكثر المفسدون وأخذوا يعيثون فيها فساداً ، ويغرسون بذور الفتنة استئثاراً بالامارة ، فلم يكن فيها من يكبح جماحهم ويقطع دابرهم ، فحدثت ثورة بعد ثورة ، وبغوا وطغوا و أكثروا فيه الفساد ، وانقطعت وسائل الراحة والطمأنينة حتى إذا احتلت الهند

الانكليز لعبت يدهم بسياسته . وساروا على قاعدة " فرق تسد" وأوقدوا نار العداوة بين أمراء الهند وملوكها حتى صار بأسهم بينهم شديداً ، وصار يقتل بعضهم بعضاً . وكانوا مع الحروب الداخلية يحاربون عدواً آخر وهو الفرنساويون فانكسروا وانكسر الفرنساويون ، وآل الأمر إلى الإنكليز.

أما ملوك دهلى[1] فبقوا كأعجاز نخل خاوية ، أو خشب مسندة . حتى إذا استشهد المغفور له السلطان طيبو الذي حارب الإنكليز ودفع عن المسلمين سنة تسع وتسعين وسبعمائة وألف م ضاقت على المسلمين أرض الهند وكادت تلفظهم.

إن مما امتاز به العرب عن غيرهم أنهم إذا دخلوا قرية غيروا دينها ومدنيتها واجتماعها ومعاشرتها وآدابها ولسانها من غير جبر ولا استكراه، وانقاد أهلها رضا وطاعة لهم ، وحباً و كرامة لطاهر عواطفهم الملية . ولكرمهم وتقواهم ، وحسن معاملتهم لهم.

و أما ملوك الهند وفاتحوه فقد خلوا من تلك العواطف الملية الطاهرة ، وإنما ألجأتهم إليه مطامعهم فزحفوا وفتحوا

---

[1] دهلى مهد الحكومة الإسلامية ومدفنها كانت بغداد الهند وقرطبتها عدة قرون.

عليه، وحكموا ما شاء الله أن يحكموا ، فداس أكثرهم احكام الإسلام وشرائع الدين كما يظهر من أعمالهم المنكرة التي يأباها كل ذى ضمير حي فضلاً عن المتدينين.

فالتيموريون لما استقرت بهم الحكومة أراد بعضهم أن يستتب أمره فلم يجد بداً من معاضدة الوثنيين له ، فألان جانبه لهم حتى ازور جانبه عن المسلمين ، ومال إليهم ميلاً شغله عن الدين ، بالرغم من المتدينين ، فتزوج فيهم ، وخر لأوثانهم ، وصار كأنه واحد منهم ، لا يخيل لأحد أنه مسلم ، ثم أمرهم بعبادة شخصه فخروا لهم سجداً ، وكفَّروا له ١.

فهذا كان شأن الحكومة الإسلامية في الهند في ربيع حياتها ، أو ريعان شبابها ، فما ظنك بها في وهنها وهرمها ؟

اتخذوا القرآن هزؤاً ، بل كان تلقينه والاستمساك به ذنباً لا يغفر ، فلم يكن يوجد للقرآن ترجمة في أى لسان إلا الترجمة الفارسية المنسوبة إلى الشيخ سعدي رحمه الله حتى ان الشيخ العلامة ولي الله بن عبدالرحيم الدهلوي حين ترجمه خشى

---

١ يقال كفر الرجال للملك مثلا إذا خضع له فوضع يده على صدره وطأطا رأسه وانحنى تعظيماً له .

على نفسه واضطر أن يهاجر من الهند .

وأما الحديث فلم يبق منه إلا روايات وأساطير كأساطير ألف ليلة وليلة ، كانوا يسجدون بين يدى القبور سجودهم بين يدى الله . فكان القبر قبلتهم التي يتوجهون إليها ، وملجأهم الذي يلجئون في شدائدهم وحاجاتهم إليه . فكانوا يزينونه ويزخرفونه ويطوفون به ، ويعكفون عليه ، و كانت تنعقد عليه الأسواق ، وتجتمع عندها المواكب ، وكل امرئ رضي بشيخه رائداً ، وإلى النجاة قائداً ، حتى إذا توفي أحدهم دفنت معه صحيفة عليها اسم شيخه ونسبه ظناً انها تقيه سوء العذاب .

ثم المتصوفون - تصوفاً مبتدعاً - أحلوا ما حرم الله ، وجعلوا المنكر معروفاً ، والباطل حقاً ، واعتدوا وأسرفوا ، واتبعوا أهواءهم فضلوا وأضلوا ، ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم ، و اتخذوا دينهم لهواً ولعباً ، ولذة وطرباً ، وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون ، وكان الإسلام يومئذ كالمسيحية ما هي إلا اوهام ، ومعتقدات و أسماء سموها استغناء بها عن الأعمال .

اخلاقهم ومعاشرتهم

فسدت أخلاقهم فساداً ما وراءه غاية ، كانت أنديتهم أندية الرجس زينتها المؤمسات ، حتى ان كبار الأشراف كانوا يرسلون صغارهم يتعلمون منهن الآداب ، وكانوا يشتغلون بالقمار والخمر والمسكرات، والملاعب السافلة ، ولم يكن لهم شغل عنها .

وأما الأمراء فقد جرى بينهم من الأمور السافلة الدنيئة مالا طاقة لذي شرف ولا أدب على سمعه .

بلغ النساء تحت رجل واحد عدد المئات ، ولا خلاق لهن ، وكان نكاح الأيامى عاراً وعيبا وفضيحة، حتى كانوا يقتلون من ينكحها ، ولا نصيب للبنات .

لم يأت على المسلمين حين من الدهر مثل هذا الحين، فقد ابتلوا بلاء عظيماً ذهبت ريحهم وخابوا وخسروا لما فقدوا الدين والسياسة . فكانت الأمة كمريض نهكته الأمراض ، وبلغت منه مبلغها . وجرت مجرى الروح والدم وثقلت عليه وطأة الداء ، و ذهب رئيس أعضائه وحارت فيه الأطباء ، وبلغ اليأس منتهاه .

فما ظنك برجل قام لمعالجته ؟ ما ظنك برجل قام في

مثل هذا الوقت لرأب الثأى ، ورتق الفتق ، ما ظنك برجل قام للمدافعة عن المسلمين لما ضاقت عليهم الأرض وكادت تميدبهم ؟ ما ظنك برجل جاهد في سبيل الله حقَّ جِهاده ، وأبلى بلاء حسنا ، وسقى الشجر الإسلامي في الهند بدمه بعدما عراه الذبول.

خلاصة تاريخية لنشأته وجهاده الإصلاحي

ولادتـه:

ولد في غرة المحرم الحرام سنة إحدى ومائتين وألف - وقيل في صفر - من أسرة كريمة ببلدة (رائي بريلي) من أعمال لكناؤ في زاوية جده السيد علم الله النقشبندى البريلوي ، من ذرية الأمير الكبير بدر الملة المنير شيخ الإسلام الأمير قطب الدين أحمد بن محمد المدني ، من أب كريم اسمه السيد عرفان ، ينتهي نسبه إلى حسن ابن علي بن أبى طالب رضى الله عنهما .

دراسته :

لما بلغ الرابعة من عمره دخل المكتب ومرت به سنوات لم يرغب في تلقى العلوم المتعارفة إلا نقش المفردات والمركبات من الكتاب وسوراً حفظها من القرآن الكريم، فلم يرض له الله أن يستأثر بلبه شيء غيره ، وكان صنوه الكبير العالم الأديب السيد اسحاق بصدد تعليمه وهو لا يميل إلى القراءة فقال أبوه : دعوه وشانه ، وكلوه إلى الله سبحانه ، فأعرض عنه ، ولما بلغ الثالثة عشرة من عمره عكف على القرآن وعني به فكان يتدبره ليلاً ونهاراً ، فعلت مداركه : وصقلت مرآة قلبه ، ولم تكد نفسه تقنع من خدمة الضعفاء وأبناء السبيل والأرامل والأيتام فكان يذهب إلى بيوتهم، ويقضى حوائجهم ، ويستقي ويحتطب لهم ، ويجتلب الأمتعة من السوق ، قائماً صائماً محييا ليله في دعاء أو صلاة تضرعاً .

من رائي بريلي إلى لكناؤ

لم يتجاوز السابعة عشرة من عمره حتى ذاق مرارة اليتم فاضطر أن يتولى أمر أسرته ، وألجأته قلة الوسائل إلى مهاجرة

الوطن . فشخص إلى لكناؤ مع سبعة رجال من عشيرته ، ولم يكن لهم إلا فرس واحد كانوا يتعاقبون عليه(يتناوبونه) وهو ترك نوبته لهم، و احتاجوا إلى حمال يحمل أثقالهم فسأ لهم أن يضعوها على رأسه وألح عليهم وجعل ينشدهم الله فوضعوها وبلغ لكناؤ فاحتملها فلقيه أحد رجال السياسة فاحترمه وأحسن مثواه . وفوَّض إليه خدمتين من الخدمات العسكرية فأعطاهما لرجلين من رفقائه . وكان يصنع له طعاماً جيداً كل يوم فلا يأكل منه بل يتركه لأصحابه ويأكل خبزاً بحتاً قفاراً ، رؤى منه يومئذ من الرشد والسعادة والصدق والعفاف والكرم والتقوى والإيثار على نفسه ما بهر أصحابه .

ورأى يوماً شرطياً ومعه حمال يحمل دنا ملآن يحمله خوفاً منه ولا يكاد يحمله ويبكى ، فتقدم إليه وشفع له فأبى إلا أن يحمله مكانه فرضى وحمله .

نشأته الروحانية

وتوجه إلى دهلي وكان فيها يومئذ حضرة الشيخ العلامة عبدالعزيز بن ولى الله ١ فلما بلغه انه سبط الشيخ أبي سعيد ٢

الشيخ الإمام العالم الكبير العلامة المحدث عبدالعزيز بن ولي الله بن عبد الرحيم العمري الدهلوي سيد علمائنا في زمانه وابن سيدهم، لقبه بعضهم سراج الهند وبعضهم حجة الله . ولد ليلة الخميس لخمس ليال بقين من رمضان سنة تسع وخمسين ومائة وألف (١١٥٩هـ) حفظ القرآن الكريم وأخذ العلم عن والده فقرأ عليه بعضا وسمع منه بعضاً آخر بالتحقيق والدراية، والفحص والعناية ، حتى حصلت له ملكة راسخة في العلوم . ثم أخذ عن أجلة أصحاب والده ما فاته وانتفع بهم . كان -رحمه الله تعالى- أحد أفراد الدنيا بفضله وآدابه وعلمه وذكائه وفهمه وسرعة حفظه اشتغل بالدرس والافادة وله خمس عشرة سنة، فدرس وأفاد حتى صار في الهند العلم الفرد - تخرج عليه الفضلاء . وقصدته الطلبة من أغلب الأرض . وتهافتوا عليه تهافت الظمآن على الماء . وكان مع الأمراض المؤلة والاسقام المفجعة- لطيف الطبع . حسن المحاضرة . جميل المذاكرة . فصيح المنطق . مليح الكلام . ذا تواضع وبشاشة وتودد لا يمكن الاحاطة بوصفه . وجملة القول فيه ان الله تبارك وتعالى قد جمع فيه صنوف الفضل وأشتاته التى فرقها بين أبناء عصره في أرضه. مختصراً من كتاب " **نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر** " للعلامة الفاضل السيد عبدالحي رحمه الله الراتي بريلوي ناظم ندوة العلماء سابقا .

وابن أخ السيد نعمان ١ احترمه غاية الاحترام وأسكنه في مسجد

---

٢ السيد الشريف أبو سعيد بن محمد ضياءالدين بن آية الله بن الشيخ الأجل علم الله النقشبندي البريلوي أحد العلماء الربانيين ، ولد ونشأ ببلدة رائي بريلي ثم رحل إلى دهلي ولازم الشيخ ولي الله بن عبدالرحيم الدهلوي وأخذ عنه - كان شيخاً جليل الوقار ، عظيم الهيئة كريم النفس ، مسدي الإحسان ، مقرى الضيفان ، سافر إلى الحجاز مع أصحابه و وصل إلى مكة المباركة في شهر ربيع الأول سنة سبع وثمانين ومائة وألف (١١٨٧هـ) واستسعد بالحج وسافر إلى المدينة المنورة وأقام بها ستة أشهر يشتغل في خلالها بالعلم والقراءة والمذاكرة وكان -رحمه الله - جالساً تجاه المرقد النبوى عن زيغ البصر فرآه كأنه خرج من الحجرة المباركة وجلس قدامه وتبسم ، فحكي انه كان يقول انى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة بهذه العين ، ورحل إلى الطائف ثم إلى الهند ، ومات في رمضان سنة ثلاث وتسعين ومائة وألف (١١٩٣هـ) ببلدة رائي بريلي فدفن بها " **نزهة الخواطر**"

السيد الشريف نعمان بن نور بن هدى بن علم الله الحسني النصيرآبادي العالم الصالح ولد ونشأ بنصيرآباد على بضع أميال من رائي بريلي و اشتغل بالعلم زماناً في بلدته ثم سافر إلى لكناؤ وقرأ على الشيخ عبدالله ثم رجع إلى رائي بريلي وبايع السيد محمد بن علم الله البريلوي ولازمه زماناً ولما توفى السيد محمد المذكور لازم ولده محمد عدل واخذ عنه الطريقة ثم ساح البلاد وادرك المشايخ الكبار ، منهم الشيخ ولي الله بن عبدالرحيم الدهلوي وخلق آخر من المشايخ ثم سافر إلى الحرمين الشريفين فحج وزار وراح إلى القدس والخليل

الأكبر آبادى عند صنوه عبدالقادر وأوصاه به ، فتلقى منه شيئاً نزراً من العلم بايع الشيخ عبدالعزيز و أخذ عنه الطريقة حتى نال حظاً وافراً من العلم والمعرفة وفاق الاقران وأتى بما يتحير منه أعيان البلدة في العلم والمعرفة، وكان ذلك في سنة اثنتين وعشرين ومائتين وألف (١٢٢٢هـ).

ثم غلب عليه شوق الجهاد في سبيل الله فذهب إلى معسكر الأمير المجاهد.... نواب مير خان ولبث عنده بضع سنين وكان يشتغل بالحرب ويقوم ويصلى حتى تورمت رجلاه، وكان يحرضه على الجهاد ، فلما رأى أنه يضيع وقته في الاغارة ويقنع بحصول المغنم تركه و رجع إلى دهلي فدخل في بيعته الشيخ عبدالحي بن هبة الله البرهانوي وكان فاضلاً متضلعاً إماماً عالماً كبيراً ، والشيخ اسماعيل ابن عبد الغنى الدهلوى وكان ممن يشار إليهم بالبنان ، فجعل الناس يدخلون في دين الله أفواجاً ، فكأن الله جمع قلوب أهل التقوى على محبته والدعاء له ، فنهض من

وتوفي في أثناء السفر لخمس خلون من جمادي الاخرة سنة ١١٩٣هـ بالقدس الشريف، وله رسائل ومصنفات " **نزهة الخواطر** ".

دهلي مع جماعة من الأنصار، و دار القرى والبلاد، فنفع الله به خلقاً كثيراً من عباده وناظروه و كابروه وهو ثابت لا يداهن، وله إقدام وشهامة وقوة نفس توقعه في أمور صعبة فيدفع الله عنه، وكان دائم الابتهال كثير الاستعانة، قوى التوكل ثابت الجأش، ذاكراً لله تعالى في كل أمر، ورجاعاً إليه في سائر الأحوال، و قافاً عند حدوده وأوامره ونواهيه حتى دخل بلدته" **رائي بريلي**" وكان توفي صنوه المرحوم اسحاق بن عرفان فخطب حليلته فهاج الناس وكبر عليهم وأنكروا عليه ذلك، فلم يأبه لإنكارهم وما زال يدافعهم ويخطب حتى تزوجها فكان اول نكاح في السادة والأشراف بأرض الهند، ثم تزوج الفاضل الشيخ عبدالحي بأخت الفاضل الشيخ اسماعيل وكانت أرملة كبيرة السن ثم توارث فيهم.

وكان الشيخ اسماعيل بن عبدالغنى والشيخ عبد الحي بن هبة الله المذكورين وخلق آخر من العلماء والمشايخ في ركابه يأخذون عنه الطريقة ويكتسبون عنه، فلبث ببلدة" رائي بريلي" ماشاء الله ثم سافر إلى لكناؤ فبايعه ألوف من الرجال، و تلقاه الوزير معتمد الدولة بالترحيب والاكرام، و عرض عليه خمسة

آلاف من النقود ، وكان السيد الإمام في تلك الأيام يجهز للهجرة و الجهاد فتعرض له الحج .

الحج

الحج قبل الجهاد فانه تمرين له وتحريض عليه ، فالوقوف بعرفة يشبه القيام في ساحة الجهاد، وفي السعى بين الصفا والمروة والطواف ما يزيد شوقاً إلى الشهادة- فالله قبل أن يأمر بالجهاد بين أحكام الحج وشعائره ، وقال صلى الله عليه وسلم " أفضل الجهاد حج مبرور" وقال عمر رضى الله عنه : شدوا الرحال في الحج فانه أحد الجهادين ، رواه البخارى ، فأراد السيد الإمام أن لا ينزل بالعدو حتى يحج ليزدادوا شوقاً إلى الشهادة ، وخلوصاً لله واستعداداً في سبيله ولتبلغ شهرتهم ونشاطهم أشدها.

وكأن الناس امتنعوا عن الحج لما رأوا شر الاعراب (البدو) وفسادهم فأراد أن يحيي هذا الركن العظيم فسار رحمه الله ومعه سبع وخمسون وسبعمائة من أصحابه وليس معه إلا دراهم معدودة،

فركب وبذلها على المساكين وقال نحن أضياف الله لا نلجأ إلى الدينار والدرهم ، ومر على مواضع عديدة وبلاد ، فدخل في بيعته خلق وانتفع به أقوام لا تعد حتى وصل إلى " كلكتا" وأقام بها أياماً بإذن الحاكم العام للهند ، ثم ركب وذهب إلى الحجاز سنة سبع و ثلاثين ومائتين وألف ، فحصل له الوقائع الغريبة في هذا السفر حتى بلغ مكة فبايعه العلماء والشيوخ ، منهم الشيخ محمد عمر مفتي مكة وهو من اساتذة شيخ العلماء الشيخ عبدالله سراج والسيد عقيل والسيد حمزة والشيخ مصطفي إمام المصلى الحنفي، والشيخ شمس الدين المصري ، وكان خطيباً ببيت الله الحرام ، وانتفع به خلق كبيرٌ من أهل الحرمين.

وعرب لهم الشيخ عبد الحي كتاب " الصراط المستقيم " للشيخ إسماعيل ، وحج وزار وقفل بعد سنة حتى وصل إلى " رائي بريلي" في سنة تسع وثلاثين ومائتين وألف فلبث بها سنتين .

وبعث الشيخ إسماعيل والشيخ عبدالحي إلى بلاد شتى للتذكير والإرشاد فدارا البلاد وهدى الله بهما خلقاً كثيراً من العباد .

وكان السيد الإمام يتجهز للهجرة والجهاد فخرج مع أصحابه في سنة إحدى و أربعين من بلدته، وسافر إلى بلاد

أفغانستان ، فلما وصل إلى بلاد " بنجتار" وقف بها وحرض المؤمنين على الجهاد وبعث أصحابه إلى " كابل" وكاشغر و بخارى ليحرضوا ملوكها على الشركة والاعانة فبايعه الناس واجتمع تحت لوائه ألوف من الرجال فرجع إلى الهند .

الجهاد

﴿ وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والوالدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك ولياً واجعل لنا من لدنك نصيراً﴾ الآية ، وكان يومئذ على بنجاب قوم طوال الشعور يقال لهم " سيكهـ" وهم قوم أولو بأس شديد نهض كبيرهم " كرونانك " في زمان بابر "مؤسس الحكومة التيميورية في الهند" ولد سنة ١٤٩٠م وهو صاحب ديانتهم وله كتاب فتصدى لقتالهم بعض الملوك التيمورية في الهند فلجأوا إلى الجبال حتى ضعف أمر المسلمين فغلبوا على " بنجاب " فأوقدوا للمسلمين نار الحرب ،

ومنعوهم العذب ، وفعلوا بهم الافاعيل واجلسوهم الخوف ١ واستحلوا دماءهم و أعراضهم ، ومنعوا مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعوا في خرابها .

فبعث إليهم الشيخ إسماعيل وكان رحمه الله بالغاً في الشجاعة والإقدام ، تعلم فنون الحرب والمسابقة والرمي والسباحة حتى صار لايدانيه أحد فيها ، فرجع وأخبره بما رأى فعزم على الرحيل ،وكتب إلى الدولة الانكليزية أن لا يتعرض لها فلم تتعرض له ، فسار على بركة الله ومعه عشرة آلاف ، فأتى كابل وبشاور حتى أقام على موضع " حوشيكي " .

ثم قدم " نوشيره " وعسكر هناك وكتب إليهم كتاباً اتماماً للحجة أن أجيبوا دعوتنا دعوة الإسلام ، فان أجبتم إلى ديننا خلفنا فيكم كتاب الله واقمنا على أن تحكموا بأحكامه ونرجع عنكم وشأنكم وبلادكم، أو الجزية نقبل منكم فنكف عنكم، وان احتجتم إلينا نصرناكم ، فان ابيتم فالمناجزة ، ولستم أجرأ على الموت منا ، وهو أحب إلينا من الخمر والفسق إليكم ،

---

[١] أي ألزموهم إياه .

والسلام على من اتبع الهدى .

فسرحوا القائد" بده سنكهـ" في عشرة آلاف فأقام على بضع أميال من " نوشيره " وبينهم وبين المسلمين نهر.

فلما بلغ السيد مسيره تعبأ للقتال و ولى الحروب رجالاً، فجعل على المقدمة الشيخ إسماعيل واستخلف على الميمنة الشيخ محمد يوسف ، وعلى الميسرة محمد يعقوب ، والشيخ "بدهن" وعلى الساقة الهى بخش خان ، وعلى القلب رجالا ، وكان بنفسه على الميمنة ، وسير تسعمائة متبوع معروفين بالنجدة والبأس وأمر عليهم " الهى بخش خان " وأمرهم بالاغارة ليلاً فأغاروا عليهم واشتدت الحرب وطال القتال حتى كان لهم الفتح بإذن الله، وانهزم الكفار و ولوا الدبر وكانوا كما تقدم عشرة آلاف فقتل منهم سبعمائة وأصاب من المسلمين اثنان وسبعون ما بين قتيل وجريح ، ولم تزل الوقائع تقع بينهم وبين المسلمين فكانت الدولة للمسلمين عليهم يهزمهم الله أشد هزيمة وينصر اولياءه حتى أن خمسين رجلاً هزموا نحو خمسمائة.

ولكن أتى من الخوانين والافاغنة ما استنكره ذوو الرأى والعلم فاتفقوا على أن يبايعوه فتكون الأمة امة واحدة ، تأمر

بالمعروف ، وتنهى عن المنكر ، فمن تولى منهم اتبع غير سبيل المؤمين و ولاه الله ما تولي﴿ ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً﴾[١]

فبويع في جمادى الآخرة سنة اثنتين وأربعين ومائتين وألف و خطب له وذكر اسمه على المنابر ، فازدادوا عدداً وقوة ، حتى بلغ عددهم إلى مائة ألف ، و لكن تعصب أعداء الله ورسوله في شأنه وشأن اتباعه فنسبوا طريقته إلى محمد بن عبد الوهاب النجدى رحمه الله ولقبوهم بالوهابية ، وزين لهم الشيطان قولهم فصدوا عن السبيل ، و ابتغوا الفتنة وقلبوا له الأمور ، ورغبوا إلى الكفار وصاروا أولياءهم في الخفاء ، ولم يألوا شراً ، حتى جعلوا في عشائه سما ، فأغمي عليه ولم يفق سبعة أيام فكانت الهزيمة على المسلمين ، حتى إذا كان اليوم الثامن أفاق فأخبره الخبر وأسروا ، وقد أفتى علماء الأمة بقتلهم فعفا عنهم ولم يعاقبهم ، وتوفي الشيخ محمد يوسف في تلك الأيام .

---

[١] - النساء :١١٥

وقدمت الوفود وفيها الشيخ العلامة عبد الحي ومعهم أموال وغنائم فأخصبوا ، وكان قد فنى الزاد واعوز القوت حتى أكلوا الخبط ، وأغاروا على موضع " دمكله" وصار الشهيد في اثني عشر رجلاً فأغار على موضوع " شنغزي " فهزم وقتل من الكفار يومئذ مائة ، وأهدى إليه " سليمان شاه " عظيم" كاشغر" جارية، فلم تزل معه حتى استشهد فذهبت إلى " تونك "حيث أقامت حتى توفيت و ولد منها ابنته السيدة هاجر.

ولما علم المنافقون أنه ظهر له مكرهم وغدرهم جعلوا يحاربونه علانية ، و نصبوا لهم العداوة ، فقاتلهم على مواضع كثيرة ، وفتح الله له وجرح أميرهم" يار محمد خان " فمات منه ، فحنق أخوه " سلطان محمد خان " وناهز حصن" هند" وفيه ستون رجلاً أو يزيدون ، فاحاط بهم وقال لكم العهد والميثاق ان نزلتم إلينا ألا نقتل منكم أحداً ، فنزلوا فاستمكن منهم وقال أقتلكم على قبر اخي ، فأوشك أن يقتلوا، لولا أن الله وقاهم شره ، وكفاهم أمره ، فبلغوا سالمين .

وقاتل الكفار على مواضع عديدة فكان الفتح حليفه

وبادر الشيخ إسماعيل فغلب على " هوتي مروان "

[موضع] ثم صار السيد رضى اللّٰه عنه ومعه الشيخ إسماعيل رحمه اللّٰه ففتح بشاور و أرسل إليه الأمير سلطان محمد خان يستعفيه ويسأله أن يترك له تلك البلاد ، فعفا عنه وأجابه .

وأمر على القضاء الفاضل السيد مظهر على رحمه اللّٰه وأقيمت الحدود والأحكام الشرعية ولكن لم تمض أيام قلائل حتى غدر عدو اللّٰه ونقض العهد فقتل السيد القاضى والأمراء والعمال على الصدقات .

فلما بلغه -رضى اللّٰه عنه - الخبر أراد الهجرة من تلك الأرض لأنها أرض فساد وبغي وغدر ، فجمع الناس فشكر لهم ، ودعا لهم ، ثم ودعهم فبكوا وقالوا لا نطيق فراقك فأصبحهم كرهاً منه .

وأمر على تلك البلاد فتح محمد خان وأمره بتقوى اللّٰه وطاعته والاستعانة باللّٰه في الأمور والرجوع إلى كتاب اللّٰه ، ثم غادر تلك البلاد فما فارقهم حتى هجم الكفار عليهم ، فأخذهم اللّٰه بغدرهم ونفاقهم فقتلوا ونهبوا ولم يبق منهم إلا قليل .

ووصل السيد - رضى اللّٰه عنه - موضع راج دوارى من أعمال كاغان في شعبان سنة ست وأربعين ومأتين وألف حيث ولدت بنته السيدة هاجر .

وسار الشيخ إسماعيل في أربعمائة أو نحوها فلم يبق جيشاً إلا هزمه ثم رجع فلحقه .

وتوجه القائد شير سكنهـ إلى" بالاكوت" فبادره السيد فسبقه إليه وغلب عليه .

وسد الطرق والثغور ، وأجلس على ثغر بعض من لم يكن ينبغى أن يعول عليهم ، فأخذوا منهم الرشوة ودلوهم عليه ، و أدخلوا الثغر ، فلم يشعر المسلمون بهم حتى هجموا عليهم ، فبادر السيد وبادروا يقاتلونهم و وثب الشيخ إسماعيل فشق صفوفهم وخرقها وجعل لا يرتفع له شئ إلا حطمه .

إذ أتاه الرجل من ورائه فعلاه بالسيف فرضي اللّٰه عنه وأرضاه لم يزل قائماً حتى برد فوقع ، وأكرم اللّٰه من أكرمه يومئذ بالشهادة وبقى منهم من بقى عرضة للقتل والنهب .

وأما السيد - رضى اللّٰه عنه - فلقى ربه فبلغ منتهى أمله وأقصى أجله - رضى اللّٰه عنه وارضاه - وتفرق الناس فيه ، فمنهم من يقول انه استشهد ، ومنهم من يقول- وهو الضال- انه غاب وسيخرج فيملأ الدنيا قسطاً وعدلا .

وللناس فيما يعشقون مذاهب .

وذهب بزوجته وابنته الشيخ " ولى محمد" إلى " طونك" وتفرقت الجماعة بعده وآخرون لجأوا إلى الجال فلم يزالوا قائمين بأمرهم إلى يومنا هذا لم يضرهم من خالفهم .

الطريقة

وهنا أصل عظيم لا يجوز إهماله ولا بد من معرفته ، وبه تعرف مزية السيد الإمام على غيره ، وكبير فضله وعظيم شأنه ، بما خصصه الله تعالى بفضله ، ومن عليه وأيده إلى الصراط المستقيم ، وهو أن القوم اختصروا على العلوم والمعارف والأحوال والمواجيد والأذواق ضرباً عن الشريعة وحسبوها من المقاصد فأفسدوا الأمر فبين أنه لا بد من إتباع الشريعة والانتماء إلى النبى صلى الله عليه وسلم واقتفاء آثاره والحرص على اتباع سنته وهديه صلى الله عليه وسلم وهو أقوم وأهم ولا تكون السعادة إلاّ به، و لايتم الأمر...... بدونه ، وهو الأصل فسد بذلك طريق الالحاد على كثير ممن يتستر بزى الصوفية ، أنكر أهواءهم الزائغة ، و رد على المبتدعين و نقض بدعهم ومكائدهم وحيلهم وما

أحدثوا ، وفرق بين البدعة والسنة ، وأن الشريعة متكفلة بجيمع السعادات الدنيوية والأخروية ، ولا يوجد مطلب يحتاج في تحصيله إلى غير الشريعة ، وأما الطريقة والحقيقة فهما خادمتان للشريعة و تحصيلها ولتكميل الشريعة لا غير ، فسد الله به ثلمة ظاهر الدين، كما رقع به خرق باطنه ، فهذب به ما شاء.

ونظر في الطريقة واجتهد ثم بين أنه لا بد للسالك من أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يكون أشد حباً لله ، و هذا أصل الإيمان ، و أن يقدمه على نفسه وما أمر به على ما تأمر به نفسه ، ثم يلتذ به حتى ينشرح له صدره ، وتقر به عينه، و تطمئن له نفسه ، ولا يرتاح إلاّإليه و يشتغل عن غيره ، و أن يتتبع آثار النبى صلى الله عليه وسلم ، فالسعادة موقوفة عليه ومعلقة به ، و يواظب على الأعمال ثم أن يحيى قلبه بالموعظة ويعمره بذكر الله ، ويزكي نفسه و يهذب أخلاقه و يجتنب الرذائل كالبخل والحسد والكبر والكذب والرياء والسمعة والطمع والحرص وغيرها مما نهى الله عنه وما يمنع عن نزول بركات الله ورحمته ، وأن يبتعد عما يشغله عن طاعة الله و يحضه على معصيته ، وليكن أشد الناس حرصاً على الطاعات والتقرب إلى

الله ، وأشدهم فراراً عن المعاصي وما يبعده عن الله، وأن لا يعصى الله في طاعة الخلق ، ويجتنب البدعة ، ثم سرد فيه أبحاثاً لطيفة وأحسن الكلام وسماه " **الطريقة النبوية** " ثم بين طريق الولاية ومن شاء فليراجع **الصراط المستقيم** للشيخ إسماعيل .

جماعته

الشيخ إسماعيل بن عبدالغنى الدهلوي

الشيخ العالم الكبير العلامة المجاهد في سبيل الله الشهيد إسماعيل ابن عبد الغنى بن ولي الله بن عبد الرحيم العمري الدهلوي أحد أفراد الدنيا في الذكاء والفطنة والشهامة وقوة النفس والصلابة في الدين ، ولد بدلهي لاثني عشر ربيع الآخر سنة ثلاث وتسعين ومائة وألف وتوفي والده في صباه فتربى في رعاية عمه الشيخ عبد القادر بن ولي الله الدهلوي وقرأ عليه الكتب المدرسية ، واستفاد من عمه الشيخ رفيع الدين والشيخ عبد العزيز أيضاً ولازمهم مدة طويلة وصار بحراً زاخراً في المعقول والمنقول ، ثم لازم السيد الإمام أحمد بن عرفان الشهيد البريلوي و

أخذ عند الطريقة وسافر معه إلى الحرمين الشريفين في سنة سبع وثلاثين ومائتين وألف فحج وزار ورجع معه إلى الهند ، وساح البلاد والقرى بأمره سنتين فانتفع به خلق لا يحصى بحد وعد ثم سافر معه إلى خراسان سنة إحدى وأربعين ومائتين وألف فجاهد معه في سبيل الله وكان كالوزير للإمام يجهز الجيوش ويقتحم المعارك العظيمة بنفسه حتى استشهد في " بالاكوت" من أرض " كاغان" وكان نادرة من نوادر الزمان وبديعة من بدائعه الحسان مقبلا على الله بقلبه وقالبه مشتغلاً بالافادة والعبادة مع تواضع وحسن أخلاق وكرم وعفاف وشهامة نفس ، وصلابة دين ، وحسن محاضرة وقوة عارضة ، وفصاحة ورجاحة ، فإذا جالسه منحرف الأخلاق أو من له في المسائل الدينية بعض شقاق جاء من سحر بيانه بما يؤلف بين الماء والنار ، و يجمع الضب والنون فلا يفارقه إلا وهو عنه راض ، وقد وقع مع أهل عصره قلاقل و زلازل وصار أمره أحدوثة وجرت فتن عديدة في حياته وبعد مماته ، والناس قسمان في شأنه فبعضهم مقصر به عن المقدار الذي يستحقه بل يرميه بالعظائم ، وبعض آخر يبالغ في وصفه ويتعصب له كما يتعصب أهل القسم الأول عليه وهذه

قاعدة مطردة في كل من يفوق أهل عصره في أمر.

وأما مختاراته في المسائل الشرعية فمنها انه ذهب إلى أن رفع اليدين في الصلاة عند الافتتاح والركوع والقيام منه والقيام إلى الثالثة سنة غير مؤكدة من سنن الهدى ، فيثاب فاعله بقدر ما فعل ان دائماً فبحسبه وإن مرة فبمثله ، ولا يلام تاركه وأنه تركه مدة عمره ، ومنها أن رفع المسبحة في أثناء التشهد عند التلفظ بكلمة التوحيد ثابت بحيث لا مردله ، وان في مسألة القراءة خلف الإمام دلائل من الجانبين قوية والاظهر ان القراءة أولى ، فيقول فيه بقول محمد كما نقل عنه صاحب الهداية ، والجهر بالتأمين أولى من خفضه لان روايات الجهر أكثر وأوضح، وترك الجهر بالتسمية أولى من الجهر بها لأن روايات النفي أكثر و أوضح من روايات الإثبات، و وضع اليد على الأخرى أولى من الإرسال ، و الإرسال لم يثبت عنه صلى الله عليه وسلم بل ثبت الوضع كما روى مالك في الموطأ وغيره في غيره ، والوضع تحت السرة وفوق السرة متساويان ، و القنوت وتركه متساويان .

و مما ذهب إليه أن تجزؤ الاجتهاد وتجزؤ التقليد لا بأس به ، وان التزام تقليد شخص معين لم يجمع على لزوم الاستمرار

عليه ، وما اشتهر من منع التقاط الرخص أيضاً خلاف واتباع غير الائمة الأربعة أيضاً مما لم يجمع على منعه، واتباع مذهب الحنفية ليس تقليد شخص معين فوحدة هذا المذهب اختارية.

وكذلك وحدة سائر المذاهب الأربعة أيضاً فلا يلزم متبعها نقصان كما لا يلزم متبع المذهب الحنفي .

والحاصل أنه لا يجوز إلتزام تقليد شخص معين مع تمكن الرجوع إلى الروايات الدالة على خلاف قول الإمام المقلد - بفتح اللام- والتقليد المطلق جائز ، والا لزم تكليف كل عامي وان قول الصحا بي من السنة في حكم الرفع وفهم الصحابي ليس بحجة لا سيما إذا كان مخالفاً لأجله الصحابة رضى الله عنهم .

مصنفاته

وأما مصنفاته فهي عديدة أحسنها كتابه " الصراط المستقيم "بالفارسي جمع فيه ماصح عن شيخه السيد الإمام قولاً وفعلاً ، وفيه بابان من انشاء صاحبه الشيخ عبد الحي بن هبة الله الصديقي البرهانوي ومنها (إيضاح الحق الصريح في القبر

والضريح) في بيان حقيقة السنة والبدعة ، ومنها (منصب امامت) في تخصيص منصب النبوة والإمامة وهو مما لم يسبق إليه .

ومنها رسالة في مبحث إمكان النظير وامتناع النظير كلها بالفارسية ، ومنها مختصر له بالعربي في أصول الفقه ، و منها رسالة بالعربية في (رد الاشراك والبدع) مرتبة على بابين، ومنها (تنوير العينين في إثبات رفع اليدين) بالعربية ، ومنها (سلك نور مزدوجة له) بالهندية ومنها " تقوية الإيمان " كتاب له مشهور بالهندي وهو ترجمة الباب الأول من رسالة في رد الإشراك .[1]

وقال أحمد بن محمد البيهقي الدهلوى في آثار الصناديد ان له رسالة في المنطق ادعى فيها ان الرابع من أجلى البديهات والشكل الأول خلافه وأقام على ذلك الادعاء من البراهين ما لم يندفع ولم يتجرأ على دفعها أحد من معاصريه .

وقال الشيخ محسن بن يحيى الترهتى في اليانع الجني

---

[1] نقل كاتب هذه السطور الكتاب إلى العربية اسماه " **رسالة التوحيد**" وقد اطلع عليه أحد الأساتذة السعوديين الكبار ، فقال : " هذا منجنيق التوحيد".

انه كان أشدهم في دين الله وأحفظهم للسنة ، يغضب لها ويندب إليها ، ويشنع على البدع وأهلها ، من مصنفاته كتاب الصراط المستقيم في التصوف، والإيضاح في بيان حقيقة السنة والبدعة مشهوران يرغب الناس فيهما، ومختصر في أصول الفقه وقرة العينين (صوابه تنوير العينين) انفرد فيها بمسائل عن جمهور أصحابه واتبعه عليها أناس من المشرق من (بنكله) وغيرها أكثر عدداً من حصى البطحاء ، وله كتاب آخر في التوحيد والإشراك . فيه أمور في حلاوة التوحيد والعسل وأخرى في مرارة الحنظل فمن قائل انها دست فيه وقائل انه تعمدها .

قال السيد صديق بن حسن القنوجي في أبجد العلوم - بعد ما نقل تلك العبارة ، أقول : ليس في كتابه الذي أشار إليه وهو المسمي (برد الإشراك) في العربية وبتقوية الإيمان بالهندية شئ مما يشان به عرضه العلي ، ويهان به فضله الجلي ، وإنما هذه المقالة الصادرة عن صاحب اليانع الجني ، مصدرها تلميذ الشيخ فضل حق الخيرآبادي فإنه أول من قام بضده ، وتصدى لرده ، في رسائله التى ليست عليها إثارة من علم الكتاب والسنة.

وقال (في الحطة بذكر الصحاح الستة) في ذكر الشيخ

ولى الله بن عبد الرحيم الدهلوي ان ابن ابنه محمد إسماعيل الشهيد اقتفي أثر جده في قوله وفعله جميعاً ، وتمم ما ابتداه جده و أدى ما كان عليه ، وبقى ما كان له ، والله تعالى مجازيه على صوالح الأعمال ، وقواطع الأقوال وصحاح الأحوال ، ولم يكن ليخترع طريقاً جديداً في الإسلام كما يزعم الجهال ، وقد قال تعالى ﴿ ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلِّمون الكتاب وبما كنتم تدرسون﴾

وطريقة هذا كله مذهب حنفي ، وشرعة حق مضى عليها السلف والخلف الصلحاء ، من العجم والعرب العرباء ، ولم يختلف فيه اثنان ، ممن قلبه مطمئن بالإيمان ، كما لا يخفى على من مارس كتب الدين وصحب أهل الإيقان كيف وقد ثبت في محله ان الرجل العامل بظواهر الكتاب وواضحات السنة أو بقول إمام آخر غير إمامه الذي لا يقلده لا يخرج عن كونه متمذهباً بمذهب إمامه ، كما يعتقده جهلة المتفقة ويتفوه بها الفقهاء المتقشفة من أهل الزمان ، المحرومين من حلاوة الإيمان ، وهو رحمه الله تعالى أحيا كثيراً من السنن الماتات وأمات عظيماً من

الإشراك والمحدثات ، حتى نال درجة الشهادة العليا، وفاز من بين أقرانه بالقدح المعلى ، وبلغ منتهى أمله ، وأقصى أجله ولكن أعداء الله ورسوله تعصبوا في شأنه ، وشأن اتباعه وأقرانه ، حتى نسبوا طريقته هذه إلى الشيخ محمد بن عبد الوهاب النجدى ، ولقبوهم الوهابية وإن كان ذلك لا ينفعهم ولا يجدى ، لأنهم لا يعرفون نجدا و لا صاحب نجد و ما له به ولا بعقائده في كل ما يأتون ويذرون من ذوق ولا وجدان [١] بل هم أهل بيت علم الحنفية ، وقدوة الملة الحنيفية، وأصحاب النفوس الزكية ، واهل القلوب القدسية ، المؤيدة من الله ، الذاهبة إلى الله، تمسكوا عند فساد الأمة بالحديث والقرآن ، واعتصموا بحبل الله وعضوا عليه بالنواجذ كما وصاهم رسولهم ونطق به القرآن.

والشيخ إسماعيل قتل في سبيل الله لست ليال بقين من ذى القعدة سنة ست وأربعين وألف بمعركة " بالاكوت" وقبره

---

[١] لو كان هذا المؤرخ يعرف عقيدة صاحب نجد لعلم سبب نسبة هؤلاء إلى طريقته وهو تمسكهم بالحديث والقرآن على طريقة السلف الأول كتبه مصححة .

ظاهر مشهور بهايزار ويتبرك به (من نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر للعلامة السيد عبدالحي).

مولانا عبدالحي البرهانوي

الشيخ الإمام الكبير العلامة عبدالحي بن هبة الله بن نور الله الصديقي البرهانوي أحد العلماء المشهورين وعباد الله الصالحين ولد بقرية برهانه - بضم الموحدة - ونشأ بها ودخل دهلي فلازم الشيخ عبد القادر ولي الله العمري الدهلوي وقرأ عليه الكتب المدرسية وأخذ عن الشيخ عبدالعزيز بن ولي الله وانتفع به نفعاً عظيماً ، وكان الشيخ عبدالعزيز يحبه حباً مفرطاً لأن عمته كانت في بيت الشيخ عبد العزيز ولأن عبد العزيز قرأ الفقه على جده نور الله ، ولذلك زوجه الشيخ المذكور بابنته ، واقرأه بعد ما ترك التدريس لإخوته ، كما في مقالات الطريقة .

وكان عبد الحي مفرط الذكاء قوي الحفظ شديد الاشتغال بالبحث والمطالعة حلو الكلام وفصيح المنطق ، درس وأفاد مدة بدهلي ثم لازم السيد الإمام أحمد بن عرفان الشهيد البريلوي في حياة شيخه عبد العزيز وأخذ عنه الطريقة ، وسافر معه إلى الحرمين الشريفين سنة سبع وثلاثين ومائتين وألف ،

فحج وزار وعرّب الصراط المستقيم لأهل الحرمين ، وبعث إليه القاضي محمد ابن على الشوكاني بعض مصنفاته مع الاجازة العامة لمروياته ، ورجع إلى الهند مع الإمام المذكور وساح البلاد والقرى بأمره سنتين ،فانتفع به خلق لا يحصى بحد وعد ، ثم سافر معه إلى خراسان سنة إحدى وأربعين للجهاد ، فتوفي بها على فراشه وكانت آخر كلمة رطب بها لسانه :اللهم الحقنى بالرفيق الأعلي .

قال محسن بن يحيي الترهتى في (اليانع الجني) : إنه كان من أحسنهم (يعنى أصحاب الشيخ عبدالعزيز) خبرة بالفقه وأمرسهم بالكتب المدرسية رأيت له رسالة في حث الناس على تزويج إياما هم وردعهم عن استقباح ذلك .

ولعبد الحي مصنفات غير ما ذكره الترهتي منها البابان من الصراط المستقيم بالفارسي في السلوك على طريق الولاية ، ومنها تعريب الصراط المستقيم ، ومنها رسالة في حكاية المناظرة التى جرت بينه وبين الشيخ رشيد الدين الكشميري الدهلوي ومنها فتاوى كثيرة مشهورة لا يحويها الدفاتر.

وكان آية من آيات الله سبحانه في التقوى والعمل

وتأثيرالوعظ وقلة الأمل وإيثار القناعة في الملبس والمأكل ، كثير الصمت شديد التوكل جليل الوقار محباً للسنة السنية مبتعداً عن الرسوم والبدع ، قد غشيه نور الإيمان وسيما الصالحين يغضب إذا مدح ، و يستبشر إذا نصح ، والقلم يعثر في المدح لعدم إمكان الاحاطة به ، توفي لثمان خلون من شعبان سنة ثلاث وأربعين ومائتين وألف بقرية خارا من خراسان فدفن بها (من نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنوظر للعلامة السيد عبدالحي)

مولانا ولايت على الصادقبوري

الشيخ الإمام العالم المحدّث ولايت على بن فتح على بن وارث على بن محمد سعيد الهاشمى الصادقبوري العظيم آبادي ، أحد العلماء الربانيين ، ولد بصادقبور سنة خمس ومائتين وألف ، واشتغل بالعلم مدة ببلدته ثم سافر إلى لكناؤ وقرأ الكتب المدرسية على الشيخ أشرف بن نعمة الله اللكناوي وبايع سيدنا الإمام أحمد بن عرفان البريلوي الشهيد .

ثم رجع إلى بلدته وأقام الجمعة والجماعة واشتغل بالتدريس والتذكير مدة ، ثم لازم شيخه السيد أحمد المذكور ، وأخذ الحديث عن الشيخ إسماعيل بن عبد الغني الدهلوي وسافر

معه إلى خراسان وجاهد في الله مدة ، ثم بعثه شيخه السيد أحمد إلى بلاد الدكن ، فسافر إلى حيدرآباد ، و أقام بها زمانًا وهدى الله به بعض عباده ، ثم سمع بشهادة السيد في معركة بالاكوت رجع إلى بلدة عظيم آباد وأقام بها سنتين ثم سافر إلى الحجاز فحج و زار وأسند الحديث عن الشيخ عبد الله سراج مفتي الأحناف بمكة المكرمة ثم راح إلى اليمن ونجد وحضرموت و غيرها من أقطار العرب ، وأخذ عن القاضي محمد ابن علي الشوكاني .

ثم عاد إلى الهند وبعث أخاه عنايت علي إلى خراسان ثم ارتحل بنفسه وغزا على كشمير وحصل له الفتوحات العظيمة فلاذ صاحب كشمير بالإنكليز فوقعوا فيه وأخذوه وأتوا به إلى لاهور ، و أمره عظيم الهند أن يفرق الجنود ويذهب بنفسه إلى عظيم آباد ولا ينتقل من بيته سنتين ، فرضي بذلك وأقام ببلدته وعكف على التدريس والتلقين والتذكير حتى انقضت المدة فارتحل مع أهله وعياله ودار البلاد.

ثم ذهب إلى خراسان واشتغل بالتدريس والتلقين وتعليم الفنون الحربية، و تجهيز الجيوش، وكان ربع القامة مائلاً

إلى الطول ، أسمر اللون ، أزج الحاجبين ، كث اللحية ، يلوح على وجهه علامات الفكر ومخايل الذل والافتقار ، وكان حريصاً على اتباع السنة السنية ، لم يزل يتتبع السنن في كتب الحديث والسير ويعمل بها كما في الدر المنثور .

وقال القنوجي في (إبقاء المنن): انى لقيته في قنوج وحضرت في تذكيره فما رأيت أحداً أسرع تأثيراً منه .

مات في شهر الله المحرم سنة تسع وستين ومأتين وألف (نزهة الخواطر ، وبهجة المسامع والنواظر ، للعلامة السيد عبد الحي رحمه الله تعالى).

مولانا كرامت على الجونبوري

الشيخ الصالح كرامت على بن إمام بخش بن جار الله بن كل محمد بن محمد دائم الصديقي الحنفي الجونبوري أحد أكابر الفقهاء الحنفية ، ولد لسبع عشرة خلون من المحرم سنة خمس عشرة ومائتين وألف بمدينة جونبور .

وقرأ بعض الكتب المدرسية على الشيخ أحمد على الجرياكوتي وبعضها على مولانا أحمد الله الأنامي ، وبايع على يد السيد

الإمام أحمد ابن عرفان الشهيد البريلوي ولازمه زماناً ، ثم سافر إلى بنكاله و دار البلاد للارشاد ، وكان الناس بدويين جاهلين لا يعرفون التمدن، ولا يلبسون الثياب إلا ما يسترون به عوراتهم ، وكانوا يفرون من أهل الحضر ، فاحتال وصرف مالاً جماً على إلباسهم الثياب الرفيعة ، وإطعامهم الأطعمة اللذيذة ، فاشتاقوا إليها واجتمعوا لديه ، فأرشدهم إلى الحق وهداهم إلى الدين الخالص ، فأنقذهم الله سبحانه به وجعله نافذ الكلمة ، فصار الناس يعظمونه ويتلقون إشاراته بالقبول ، وله مصنفات في الفقه والسلوك منها : مفتاح الجنة ، وزينة المصلى ، و زينة القارئ ، وزاد التقوى، والكوكب الدري ، والدعوات المسنونة ، وشرح الجزري، ونور الهدى ، ورفيق السالكين ،وفيض عام ، ومكاشفات رحمت ، وقوة الإيمان، ونسيم الحرمين ، وغيرها من الكتب والرسائل .

وكان مجوداً يقرأ القرآن بلحن شجي يأخذ بمجامع القلوب سافر إلى الحرمين الشريفين فحج وزار وأخذ القراءة عن السيد إبراهيم المدني والسيد محمد الاسكندراني ، وكان قليل الخبرة بالحديث ، مات يوم الجمعة لثلاث خلون من ربيع الآخر

سنة تسعين ومائتين وألف "برنكبور" من اعمال بنكاله كما في مفيد المفتى وغيره " نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر للعلامة السيد عبدالحي ".

مولانا محمد على الرامبوري

الشيخ العالم المحدث محمد علي بن عنايت علي بن فضل على الحسيني النقرى الدهلوي ثم الرامبوري ، كان شقيق العلامة حيدر على وصنوه الصغير وتلوه في العلم والعمل ، أخذ الطريقة عن السيد الإمام المجاهد أحمد بن عرفان الشهيد البريلوي ، ولازمه مدة من الزمان ، فاستخدمه السيد ورخّصه إلى مدراس [١] فسار إليها واشتغل بالارشاد والموعظة ، وكان في تأثيره تذكير عجيب ، تاب على يده الكريمة ألوف من الرجال والنساء وأنابوا إلى الله سبحانه و رفضوا البدع والأهواء ، حتى نهض زعماء البدعة ودعاتها إلى خصامه وكفروه وأحرقوا " تقوية الإيمان" للشيخ إسماعيل بن عبد الغني الدهلوي ، فثارت الفتنة العظيمة ، وكان جمال الدين بن علاء الدين اللكهنوي رأس تلك الفئة العادية كفره وسعى إلى الحكام فأمروا بجلائه من مدراس

---

[١] كذا في الأصل والمراد انه اجازه وانفذه .

حتي خرج منه واستخلف خان عالم المدراسي من بعده بمدراس ، وهو ممن أخذ عنه جدى السيد عبد العلي النصير آبادي الحديث وأسند عنه ، مات سنة ثمان وخمسين ومائتين وألف " نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر للعلامة السيد عبد الحي-" رحمه الله -.

مولانا سخاوت على الجونبوري

الشيخ العالم الكبير المحدث سخاوت علي بن رعايت علي بن درويش على بن بذر على العمري الجونبوري أحد العلماء المشهورين، ولد سنة خمس وعشرين ومائتين وألف ، وقرأ الرسائل المختصرة على الشيخ قدرت على الردولوي ، قرأ بعض المتوسطات على الشيخ احمد الله المانى وبعضها على الشيخ أحمد علي الجريا كوتي والمطولات على الشيخ إسماعيل بن عبد الغنى الدهلوى والشيخ عبدالحي بن هبة الله البرهانوي ، وأخذ الطريقة عن السيد الإمام أحمد بن عرفان الشهيد البريلوي ولازمه برهة من الزمان ثم رجع إلى جونفور ونزع الجامع الكبير عن أيدى الشيعة، وأقام فيه الجمعة والجماعة وعمره بالمدرسة القرآنية ، ثم سار إلى "باندا" و درس بها سنتين ، ثم عاد إلى

جونبور ولبث بها زماماً ، ثم سافر إلى الحرمين الشريفين مع خاله المفتى محمدغوث الجونبوري سنة أربع وستين ومائتين وألف ، فحج وزار ورجع إلى الهند و درس وأفاد بها مدة ، ثم هاجر إلى مكة المباركة مع عياله سنة اثنتين وسبعين وتوفي بها ، وكان عالماً محدثاً فقيهاً زاهداً . جمع العلم والعمل والورع وقيام الليل والسداد في الرواية وقلة الكلام فيما لايعنيه وقلة الخلاف على أصحابه ، انتفع به وبدروسه خلق كثيرمن أهل الهند ، و من مصنفاته : القويم في أحاديث النبى الكريم ، والا سلم في المنطق ورسالة في الناسخ والمنسوخ ، ورسالة في معرفة أوقات الصلاة ، و رسالة في الهيئة ، و رسائل عديدة في الفقه والسلوك .

مات لست خلون من شوال سنة أربع وسبعين ومائتين وألف بمكة المباركة كما في تجلى نور" نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر للعلامة عبد الحي "- رحمه الله -.

الكتب المصنفة
في أحوال السيد الإمام

وقد صنف كثير من أصحابه كتباً مبسوطة في أحواله ومقاماته منها " **الصراط المستقيم** " بالفارسية للشيخ إسماعيل بن عبد الغني وللشيخ عبد الحي ، ولعمرى انه خير كتب أخرج للناس (في بابه) وقد عربه الشيخ عبد الحي المذكور في الحجاز لأهل الحرمين الشريفين ومنها " **منظورة السعداء**" للشيخ جعفر علي البستوي كتاب بسيط بالفارسي ، ومنها " **مخزن أحمدي**" للشيخ محمد على ابن عبد السبحان الطونكي ، ومنها " **السوانح الأحمدية** " للشيخ محمد جعفر التهانيسري و هو أجمع الكتب واضبطها لاخباره ، ومنها "**الملهمات الأحمدية** " للمفتى إلهي بخش الكاندهلوي اقتصر فيه على ما وصل منه من الأذكار والأشغال ، ومنها " **الوقائع الأحمدية** " للشيخ محمد علي الصدربوري .

فهرس

رسالة ترجمة السيد الإمام أحمد بن عرفان الشهيد الهندي

مجدد الأمة ومصلحوها ١٢
حالة الهند العامة في عهد نشأة السيد المترجم ١٣
أخلاق الناس ومعاشرتهم ١٧
خلاصة تاريخية لنشأته وجهاده ١٨
هجرته من بلده إلى لكناؤ ١٩
نشأته الروحانية ٢١
الحج ٢٥
الجهاد ٢٧
الطريقة واعتصامه فيها بالشريعة ٣٤
الشيخ إسماعيل الدهلوي ٣٦
مصنفاته ٣٩

الشيخ عبدالحي البرهانوي...٤٤
الشيخ ولاية على الصادقبوري...٤٦
الشيخ كرامت على الجونبوري ٤٨
الشيخ محمد على الرامبوري..٥٠
الشيخ سخاوت على الجونبوري...٥١
الكتب المصنفة في أحواله ٥٣